الفصل الخامس

obeikandl.com

الفصل الخامس

أحوال المعلم والمتعلم فى مصر فى عصر الولاة

أولا : المعـــــلم :

أ - أنـــــواع المعلمين فى مصر الاسلامية

- المعلمون الأوائل (الصحابة والتابعون)

- العلماء من أبناء مصر

- العلماء الوافـــــدون

ب - أوضاع المعلمين فى مصر الاسلامية

- المكانة العلمية والثقافية

- المكانة الاجتماعية

- المكانة المالية والانفاق التعليمى

ثانيا : المتعلم :

١ - أحوال المتعلمين فى مصر الاسلامية

- الحرية العلمية للمتعلم

- الطالب المعلم والاجازة العلمية

٢ - آداب المتعلمين فى عصر الولاة

ثالثا : طرق الدرس والتحصيل

١ - الرحلة العلمية ٢ - التلقين والاستماع ٣ -التدوين والاملاء

obeikandl.com

الفصل الخامس

أحوال المعلم والمتعلم فى مصر فى عصر الولاة

ان المعلم والمتعلم هما حجر الزاوية فى أى نظام تعليمى فى أى زمان ومكان ، فهما مقياس نجاح النظام التعليمى فى أى مجتمع ، ومن ثم فقد كان من الطبيعى أن يعنى الاسلام بوضع ومكانة كلا من المعلم والمتعلم والأسس التى يتم عليها بناء العملية التعليمية وسوف يتناول هذا الفصل بالدراسة لأحوال كل من :

أولا : المعلم ثانيا : المتعلم ثالثا : طرق الدرس والتحصيل

أولا : المعلم :

==========

لقد عنى الاسلام عناية كبيرة بالمعلمين ، حيث اهتم العرب بتلقى العلم عن المعلمين وكرهوا أن يتلقى طالب العلم من الكتب وحدها وكان قولهم " من أعظم البلية تشييخ الصحيفة " أى أن يتعلم الناس من الكتب (١).

وقد ذكر الزرنوجى أنه قد ورد فى أحد الكتب ان " من لاشيخ له فلا دين له ، ومن لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان " فأدرك العرب ضرورة المعلم للتعليم وعبر الزرنوجى عن ذلك بقوله : يحتاج فى التعلم الى جد الثلاثة فالمتعلم والأستاذ والأب (٢) .

وقد ظهر المعلم مع ظهور الاسلام فقد كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو المعلم الأول لمن دخلوا فى الاسلام ، ثم غدا الصحابة من بعده المعلمين الأوائل ينشرون تعاليم وعلوم الدين الاسلامى مع فتوحاتهم ، وسوف نناقش فى هذا البحث ما يلى : –

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ، حيدر اباد ، ١٣٥٣ هـ . ص ٨٧ .

(٢) الزرنوجى ، تعليم المتعلم طريق التعلم ، ط١ ، مطبعة التقدم العلمية القاهرة (١٣١٩ هـ) ، ص ١١ .

أ – انواع المعلمين فى مصر الاسلامية .

ب – اوضاع المعلم فى عصر الولاة .

أ – انواع المعلمين فى مصر الاسلامية : –

========== فى عهد الولاة وجد فى مصر ثلاثة انواع من المعلمين هم :

١ – الصحابة والتابعون (المعلمون الاوائل) **٢ – العلماء من ابناء مصر**

٣ – العلمـــــــــــــاء الوافدون

وفيما يلى القاء الضوء على كل نوع من هذه الانواع

– الصحابة والتابعون (المعلمون الاوائل) :

========== تركز التعليم فى كافة الامصار الاسلامية فى صدر الاسلام على يد علمائها من الصحابة ، فمن المعروف ان الصحابة قد تفرقوا فى كافة البلدان التى فتحتها الجيوش الاسلامية حيث أن كثيرا منهم كانوا ضمن هذه الجيوش ، والذين كان لهم اكبر الفضل فى تعليم اهل تلك البلاد والذين تعمد الخليفة عمر بن الخطاب ان يفرقهم على الجيوش الاسلامية المختلفة لتعليم اهلها وليس لضرب ظهورهم .

وقد اشترك فى جيش الفتح المصرى الكثير من الصحابة ، الذين استقروا بها واختطوا مساكنهم حول مسجدها الجامع ، وهم من كانوا نواة مدرستها الدينية العلمية فى مدينة الفسطاط [١].

واخذ الكثير من الصحابة يفدون اليها بعد الفتح وشجعهم على ذلك ما رأوه من وفير خيراتها وسهولة العيش بها واعتدال مناخها طوال العام (٢) .

---

(١) السيوطى ، حسن المحاضرة (مصدر سابق) ، حـ١ ص ص ٩٩ : ١٤٠ " حيث ذكر أسماء جميع الصحابة ممن نزلوا مصر مع جيش الفتح / ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها (مصدر سابق) ، حـ٢ ص ١٣١ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض (مصدر سابق) ، ص ١٤٧ / ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة (مصدر سابق) ، ص ص ١٤٣ : ١٤٧ .

لقد جعل الله تعالى مصر متوسطة بين الاقليم الثالث والرابع ، وسلمت من برد الاقليم الخامس والسادس اى أنها قد تميزت باعتدال مناخها ، وقد قال عنها عمرو بن العاص " ولاية مصر تعدل الخلافة " (١) .

وأتى هؤلاء الصحابة الى مصر متطوعين لنشر الاسلام ، ومعلمين ابنائها ما اخذوه عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أوامر ونواهى ومن علوم القرآن واسباب نزول آياته وتفسيرها ، فكانوا بالطبع أعلم الامة وحملة العلم الاوائل فى مصر (٢) .

لقد أنشأ هؤلاء الصحابة مدرسة مصر الدينية فى مدينة الفسطاط وصار جامع عمرو بن العاص أول مدرسة فى مصر لتعليم تلك العلوم نمت نموا مضطردا حسب ما اقتضته الحاجة من المسلمين الجدد للتعرف على دينهم وتعاليمه، فكان الدور التعليمى الاول للفقهاء هو نشر الاسلام وتعاليمه وتفقيه المسلمين الجدد . وقد أسس مدرسة الفسطاط الفقهيه عددا من الصحابة المتميزين كان منهم " عمرو بن العاص " والى مصر وفاتحها وقائد جيشها (٣)

واشترك ايضا فى وضع اسس علم الفقه فى مصر الاسلامية مفتى مكة عبد الله بن عباس (ت ٦٨ هـ) فى حلقته فى المسجد الجامع بالفسطاط الذى وضع أسس العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث ، وكان امام المعلمين فى المسجد الجامع ومؤسس المدرسة المصرية (٤) .

ولما كان الدين الاسلامى مرتبطا باداء الفروض والعبادات والتى تتلى فيها الآيات القرآنية فكان لابد لدور القراء أن يبرز على الساحة لتعليم المسلمين الجدد تلاوة وقراءة القرآن الكريم الذى هو الاساس لاقامة أهم شريعة اسلامية الا وهى الصلاة ، فقد كان القرآن الكريم

---

(١) مجهول ، الاستبصار (مصدر سابق) ، ص ٤٩ / الاسحاقى ، أخبار الأول (مصدر سابق) ، ص ٨ ، ٩ .

(٢) ابن فرحون ، الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب ، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، (١٩٧٤ م) ص ١٢ .

(٣) ابن قتيبة ، المعارف (مصدر سابق) ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ / الرافعى ، سعيد عاشور ، مصر فى العصور الوسطى (مرجع سابق) ، ص ٧٦ .

(٤) المقريزى ، الخطط (مصدر سابق) ، حـ٤ ص ١٤٢ ، ١٤٣ / ابن قتيبة ، المصدر السابق ، ص ١٢٥.

هو أهم ما حمله الصحابة الجنود الفاتحون لمصر ، ممن كانوا هم ايضا نواة مدرسة القراءات بها والتى أرست دعائمها (١) .

وكان من صفوة مدرسة القراء المصرية القارئ الصحابى " عقبة بن عامر الجهنى " ت ٥٨ هـ، وكان يحمل نسخة خاصة من المصحف الشريف نسخها بيده وكان يعلم منها فى حلقته بمصر ، وقد روى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كثيرا وكان قارئا عالما بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرا كاتبا وكان من أول من جمعوا القرآن تولى امارة مصر والافتاء فى عام ٤٤هـ وكان اول من جمع له فى امرة مصر بين الخراج الصلاة وقد ازدهرت حلقات القراءة فى عهده على يده ثم على يد تلاميذه من بعده (٢) .

وقد ارتبط بعلم القراءات ، علم تفسير القرآن وذلك بغرض فهم ما جاء فيه وايضاح معانى الآيات لإستخراج الأحكام منها حيث أن القرآن هو المصدر الأول للتشريع فى الاسلام ، وكان من نصيب مدرسة الفسطاط الصحابى الجليل والعالم الكبير " عبد الله بن عباس ت ٧٨ هـ " الذى وضع أسس التفسير فى المدرسة المصرية وتخرج على يديه العديد من علماء التفسير وكان نعم الترجمان للقرآن (٣) .

ايضا كان "عبد الله بن عمرو بن العاص" من ابرز مفسرى المدرسة المصرية من الصحابة وكان كلما قرأ على طلابه القرآن فسره لهم فجمع بذلك بين القراءة والتفسير فى تعليمه لطلابه(٤) .

---

(١) البرى ، القرآن وعلومه فى مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ١٣٠ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (مصدر سابق) ، حـ١ ض ١٤١ : ١٤٥ / ابن الأثير ، أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، تحقيق محمد ابراهيم البنا ، دار الشعب ، القاهرة (١٩٧٣ م) ، حـ٣ ، ص ٤١٧ . / ابن حجر العسقلانى ، الاصابة فى تمييز الصحابة (مصدر سابق) ، م٢ ، حـ٤ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٣) السيوطى ، الاتقان (مصدر سابق) ، حـ٣ ص ٣١٧ / ابن الجوزى ، صفة الصفوة ، ط١ دائرة المعارف العثمانية ، الهند (١٣٥٦ هـ) ، حـ١ ص ٣١٥ .

(٤) الذهبى ، تذكرة الحفاظ وطبقات الحفاظ ، حيدر اباد (١٣٣٣ هـ) ، حـ١ ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

وقد ارتبط بظهور علوم القرآن فى المدرسة المصرية منذ الفتح ظهور علم من أهم العلوم البينية وهو علم الحديث ليتعرف المسلمون على أمور دينهم من خلال أقوال وأفعال الرسول (صلى الله عليه وسلم) التى كانت المصدر الثانى من مصادر التشريع فى الاسلام (١).

لقد كان لعبد الله بن عمروبن العاص الدور الاساسى فى ازدهار مدرسة الحديث المصرية حيث كان أكثر الصحابة رواية للحديث عن النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فضلا عن انة صاحب أول مدونة للحديث وكتبها مباشرة عن الرسول وبإذنة واسماها "الصادقة " وحملها معة الى مصر ، يعلم أبنائها الحديث منها (٢) .

وزاد من تميز مدرسة الحديث بمصر أن أغلب من جاء مصر من العرب سواء الفاتحين أو الوافدين كانوا من رواة الحديث وقد بلغ عدد كبار من رووا الحديث فى مصر بعد الفتح بنحو ثلاثمائة فضلا عن التابعين ، فنقلوا لاهلها صورة حية من أفعال وأقوال الرسول _صلى الله عليه وسلم _ (٣) .

وكما حمل هؤلاء العرب الفاتحون علوم الدين الاسلامى الى مصر ، حملوا معهم أيضا لغتهم العربية وعلومها من أدب ونحو ولغة ، حيث كان موجودا بجيش عمرو الشعراء والخطباء والادباء ، فبدأ الصحابة فى تعليم لغتهم للمصرين مع علوم القرآن (٤) .

وقد كان لهولاء العلماء الاوائل الفضل فى ظهور علم التاريخ ومدرسة التاريخ المصرية ففى البداية نشأ هذا العلم متاثرا كغيرة من العلوم الدينية واللغوية بالقرآن الكريم فظهر فى صورة القصص القرآنى وكان من هؤلاء العلماء القصاصون فى المسجد الجامع

---

(١) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله (وما ينبغى فى روايته وحمله) ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٧٨ م) ، حـ٢ ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) الذهبى ، تذكرة الحفاظ (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٣٥ ، ٣٦ / الشيرازى ، طبقات الفقهاء ، المكتبة العربية بغداد ، (١٣٥٦هـ) ، ص ص ٢٠ : ٢٢ .

(٣) السيوطى ، حسن المحاضرة (مصدر سابق) ، حـ١ ص ص ١٤٠ : ١٦٠ ، وأورد خلالها ذكر الصحابة المجدثين فى مصر

(٤) ابن خلدون ، المقدمة (مصدر سابق) ، ص ٥٤٥ .

للوعظ والارشاد باستخدام القصص القرآنى أوائل الذين تخرج على يديهم الرواة والاخباريون ثم المؤرخون (١) .

وكانت وظيفة القاص وظيفة رسيمة حيث كان يتم تعيينه من قبل الخليفة أو الوالى ، وكان أول قاص بمصر هو الصحابى " سليم بن عنتر التجيبى ت ٤٠ هـ .الذى كان قاضى مصر" (٢) .

وقد تتلمذ على يد هؤلاء المعلمين الأوائل التابعون الذين كانوا فى البداية من العرب ، ثم حين تلاهم تابعيهم تغيرت الصورة وانعكست فأصبح حملة العلم فى مصر وغيرها من الأمصار الاسلامية من الموالى وأبنائهم ، فممن نبغ من هؤلاء الموالى التابعين فى القرن الأول الهجرى كان المحدث وردان ويكنى " أبو عبيد الله " ، مولى عمرو بن العاص والتى سميت السوق التى بمصر سوق وردان نسبة اليه (٣) .

٢- العلماء من أبناء مصر :

========== كان العلماء المصريون من أبناء البلاد بحق هم من أكملوا البنيان العلمى لمدرسة الفسطاط التى أسسها العلماء الأوائل والتى بهم أصبحت الفسطاط مدرسة علمية كبيرة وقبلة لجميع المعلمين والمتعلمين ، وقد بدأ المصريون أساتذة وطلابا حياتهم العلمية بالرحيل الى الأمصار ذات المدارس الاسلامية الكبرى كالمدينة المنورة أو دمشق او الكوفة أو البصرة مواطن أئمة العلوم الدينية والنحو واللغة وكان من هؤلاء المصريين العلماء الكبار كالليث بن سعد وعبد الله بن وهب وغيرهم (٤) .

لقد كان للموالى التابعين من المصريين أعظم الشأن فى نمو مدرسة الفسطاط حيث كان منهم العالم الثقة المحدث الذى روى عن كثير من شيوخ عصره " عبيد بن جبر القبطى

---

(١) السخاوى ، الاعلان بالوبيخ لمن ذم التاريخ ، مطبعة الترقى ، القدس ، (١٣٤٩ هـ) ، ص ٤٠ .

(٢) ابن دقماق ، الانتصار (مصدر سابق) ، ص ٧٢ / الكندى ، الولاة والقضاة (مصدر سابق) ، ص ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، بيروت (١٩٥٧ م) ، حـ٧ ، ص ٥١١ .

(٤) ابن فرحون ، الديباج المذهب (مصدر سابق) ، ص ١٥ ، ١٩ / ابن النديم ، الفهرست ، طبعة ليبسك ، (١٨٧٢م) ، ص ٢١٨ .

ت٧٤هـ " بالأسكندرية وكان من أهل مصر ومولى لأبـى بصـرة الغفـارى الصحـابى وقـد أخـذ عنه الكثير من التابعين وتابعيهم (١) .

وممن اكتسب شهرة كبيرة من أبناء الموالى العالم المصرى الكبير " يزيد بن أبى حبيب " مولى بنى عامر بن لؤى من قريش (ت ١٢٨ هـ) وكان من أشهر علمـاء وفقهـاء ومحدثـى مصر وهو من فوض اليه عمر بن عبد العزيز الفتيا فى مصر وهو من أخـذ عنـه العلمـاء مـن أبناء مصر وخارجها لشهرته الفقهية حتى سمى شيخ مصر ومفتيها (٢) .

وممن أثرى من علماء مصر مدرسة الفسطاط الدينية فى العلوم المختلفة حتى صـارت قبلة العلماء وطلاب العلم مـن بـلاد المغـرب والأندلـس ، حيـث كـان لعلمـاء وأسـاتذة المدرسـة المصرية بصمات مميزة فى العلوم والمعارف ، ففى علوم القراءات كان الفقيـه المحـدث الليـث بن سعد قد حمل قراءة نافع بن نعيم (ت ١٦٩ هـ) المدينـى الـى مصـر وجعلهـا الأسـاس فـى حلقته العلمية لتدريس القراءات بمصر لشرح خصائصها ومميزاتها (٣) .

وقد برزت مدرسة القراء المصرية على يد العالم المصرى القبطـى الأصـل " ورش " عثمان بن سعيد المصرى (ت ١٩٧ هـ) مولى الزبير بن العوام وكان من أشـهر تلاميـذ نـافع الذى لقبه بورش لشدة بياضه ، وقد انتقلت اليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية (٤) .

لقد تمكن ورش من وضع منهج خاص به فى الأداء لقـراءة نـافع فـى بعـض الحـروف حتى سميت " قراءة ورش " لتميزها ، وامتلأت حلقتـه العلميـة بمئـات التلاميـذ مـن المصريين والوافدين ولاسيما من علماء المغرب والأندلس الذين اتخذوا من قراءة ورش منهج للإقراء فى مدارسهم (٥) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها (مصدر سابق) ، ص ٢٨٣ / السيوطى ، حسن المحاضرة (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٢٦٠ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (مصدر سابق) ، حـ٧ ، ص ٥١٣ / ابن الكندى ، فضائل مصر (مصدر سابق) ، ص ٤٠ .

(٣) ابن حجر العسقلانى ، الرحمة الغيثية بالترجمة الليثية ، ط١ ، مكتبة الآداب ، القاهرة (١٩٩٤ م) ، ص ٢٥ .

(٤) ابن العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، بيروت (١٩٨٥ م) ، حـ١ ص ٣٤٩ .ابن الجوزى ، غاية النهاية فى طبقات القراء ، مطبعة السعادة ، القاهرة (١٩٣٣ م) ، حـ١ ، ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

(٥) ابن الجزرى ، نفس المصدر ، حـ١ ص ٣٠٥ .

وقد ازدهرت مدرسة التفسير المصرية كذلك على يد أساتذتها وعلمائها المصريين كالعالم الفقيه المحدث والمفسر " عبد الله بن وهب " (ت ١٧٩ هـ) حيث تميز كمعلم بايضاح تفاسيره لتلاميذه فى مصنفاته التى أملاها عليهم ، فظهرت تفاسيره فى كتابيه الموطأ الكبير والموطأ الصغير (١) .

كما ازدهرت كذلك مدرسة الفقه المصرية على يد فقهائها من أبناء البلاد ممن نشروا المذاهب الفقهية الأربعة ، وكانت المساجلات العلمية بينهم أساسا فى ازدهار علوم الفقه فى حلقات المسجد الجامع العلمية ، مما ساعد على مواصلة البحث والدرس به (٢) .

وكان أيضا من أساتذة الفقه المصريين فى المذهب المالكى العالم المصرى " أشهب بن عبد العزيز العامرى " (ت ٢٠٤ هـ) والذى انتهت اليه رئاسة المذهب المالكى بمصر بعد العالم المصرى ابن القاسم وكان له كتاب فقهى أسماه (المدونة) الذى درسه وأملاه على تلاميذ حلقته فى المسجد وقد ظل المرجع الفقهى الرئيسى لعلماء وطلاب الفقه فى القيروان والأندلس (٣) .

ومن أشهر أساتذة الفقه الشافعى ومن تلاميذ الأمام الشافعى كذلك الفقيه المصرى " ابو يعقوب بن يوسف البويطى ت ٢٣١ هـ " الذى ألف كتابه (مختصر البويطى) وقد خلف الشافعى فى حلقته العلمية باجازة الامام الشافعى نفسه (٤) .

وقد اشتهر أيضا علماء واساتذة مصر من المحدثين فى صدر الاسلام فكان منهم الليث بن سعد المصرى الذى كثرت حلقاته فى الحديث النبوى الشريف وعلومه فضلا عن علوم اللغة وقد أجمع علماء الأمة كلهم على مكانة الليث البارزة (٥) .

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان (مصدر سابق) ، حـ٣ ص ٣٦ ، ٣٧ / الذهبى ، تذكرة الحفاظ (مصدر سابق) ، ص ٢٧٧ : ٢٨٠ .

(٢) أحمد تيمور باشا ، نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الفقهية الأربعة ، دار الكتاب العربى ، القاهرة (١٩٦٥ م) ، المقدمة./ السيد طه أبو سديرة ، الحركة العلمية فى مصر فى عصر الولاة (٢١ هـ - ٢٥٤ هـ) ، دار الفكر العربى ، القاهرة (١٩٩٠م) ، ص ٦٠ .

(٣) الذهبى ، العبر فىخبر من غبر ، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٩٨٥ م) حـ١ (من سنة ١ إلى ٣١٨ هـ) ، ص ٢٠٧ / الشيرازى ، طبقات الفقهاء (مصدر سابق) ، ص ١٢٨ .

(٤) ابن هداية ، طبقات الشافعية ، المكتبة العربية ، بغداد (١٣٥٦ هـ) ، ص ٤ .

(٥) ابن حجر العسقلانى ، الرحمة الغيثية (مصدر سابق) ، ص ٤ ، ٦ / الثعالبى ، فقه اللغة وسر العربية ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٧٨ م) ، ص ٢٦ .

لقد أدت شهرة علماء الحديث المصريين بالمسجد الجامع الى توافد الطلاب على حلقاتهم بكثرة عن باقى مدارس الحديث بالأمصار الاسلامية (١) .

كما أدت مكانة هؤلاء الأساتذة فى تحرى الصدق فى الاسناد الى قدوم أصحاب الكتب الست المعتمدة اليهم والاخراج والرواية عنهم (٢) .

وكما تميز المصريون فى كافة العلوم الدينية تميزوا كذلك كأساتذة فى علوم اللغة العربية ، فقد كانت المدرسة اللغوية والنحوية فى مصر ذات أثر كبير فى تعميق اللغة بالفسطاط من خلال حلقات علمائها وبخاصة العالم الحافظ النحوى المصرى " احمد بن يحيى التجيبى المصرى ت ٢٥٠ هـ " والذى أثنى علماء وشيوخ اللغة على حلقاته ومجالسه العلمية فى اللغة حتى أن الامام الشافعى كان يحضر حلقاته ويأخذ عنه (٣) .

وقد ساهم علماء المدرسة المصرية فى ظهور علم التاريخ الذى خرج من كنف علم الحديث ذلك للتوثيق للأحاديث والمحدثين والصحابة (٤) .

فقد تحولت الرواية التاريخية الى منهج تاريخى على يد المؤرخ المصرى " عبد الرحمن بن عبد الحكم ت ٢٥٧ هـ " والذى اشتهر هو وأسرته كمعلمين للحديث والفقه فى المسجد الجامع ، وهو أول من صنف أقدم كتاب فى تاريخ مصر الاسلامية وهو " فتوح مصر والمغرب " والذى أخذ فيه عن الاخباريين المصريين (٥) .

---

(١) هل ، الحضارة العربية (مرجع سابق) ، ص ٧٠

(٢) السيوطى ، حسن المحاضرة (مصدر سابق) ، حـ١ ص ١٥٣ : ١٥٥ / سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٣) القفطى ، انباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ، دار الكتب العربية ، القاهرة (١٩٥٠م)، حـ١ ص ٥٢ / السيوطى ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، بيروت (١٩٦٤ م) ، حـ١ ص ١٧٤ .

(٤) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٢٤ – ٢٥ .

(٥) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (مصدر سابق) ، المقدمة ، / محمد كام حسين ، أدب مصر الاسلامية ، ص ٨٤ : ٨٧ .

وهكذا فاذا كان الصحابة الفاتحون ومعهم التابعون قد أسسوا مدرسة مصر العلمية وعلموا أبناء مصر فان أبناء مصر قد تسلموا منهم مشعل النور الذى زاد فى أيديهم توهجا ومنارة تهدى ويرتحل اليها .

٣- العلماء الوافدون :

========== لقد حظيت مدرسة الفسطاط بالعديد من العلماء الوافدين من أنحاء العالم الاسلامى ممن أقبلوا للتعليم أو التدريس بها الذين اسهموا فى ازدهار حلقاتها العلمية بالمسجد الجامع ، وكان من أبرز العلماء الذين وفدوا الى مصر وعلموا بها هو الامام " محمد بن ادريس الشافعى " الذى توفى بمصر ٢٠٤ هـ وقد تميزت حلقاته العلمية فى المسجد الجامع بالتنوع لغزارة معارفه فى الفقه والحديث والقراءات واللغة ، فضلا عن المناظرات العلمية وكانت حلقته العلمية تستمر طوال اليوم (١) .

وقد أدت حلقاته العلمية فى المسجد الجامع الى تخريج كبار العلماء بعده كالبويطى والمزنى والخولانى ، فضلا عن ازدهار وشيوع المصنفات الفقهية الهامة التى أملاها على تلاميذه من علماء مصر (٢) .

وقد أقام بمصر ايضا من العلماء الوافدين علم من أعلام التاريخ واللغة والأنساب وهو " أبو محمد عبد الملك بن هشام " صاحب السيرة النبوية المنسوبة اليه وعاش يعلم فى المسجد الجامع حتى وفاته ٢١٣ هـ كما لخص كتابه فى السيرة فى مصر متأثرا بروايات اخبارى مصر وعلمائها كابن وهب ، وكانت حلقاته العلمية من أقوى الحلقات العلمية لتنوعها وشهرتها فى الفسطاط (٣) .

---

(١) السيوطى ، رحلة الامام الشافعى (رواية الربيع بن سليمان الجيزى) ، مطبعة الخليلى ، شاه أباد ، (١٣٠٦ هـ) ، ص ص ١٠ : ٢١ . محمد كامل حسين ، أدب مصر الاسلامية فى عصر الولاة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ( ) ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) الشافعى ، الأم (مصدر سابق) حـ١ المقدمة / ابن هداية ، طبقات الشافعية (مصدر سابق) ، ص ٢ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، مكتبة حميدو ، الأسكندرية (ب . ت) ، حـ١ المقدمة ، ص ٦ : ٨ / القفطى ، انباه الرواة على أنباه النحاة (مصدر سابق) ، حـ١ ، ص ٢٢ ، حـ ٢ ص ٢١١ ، ٢١٢ .

كما وفد الى مصر العديد من علماء المغرب والأندلس الذين تعلموا على يد أساتذتها ثم غدوا منارات علمية متميزة فى بلادهم .

ب – أوضاع العلماء والمعلمين فى عصر الولاة :

========== كان لعلماء مصر واساتذتها فى عصر الولاة مكانة متميزة ، علميا وثقافيا وماليا وسوف يناقش هذا المبحث تلك المكانة من خلال أنواعها الثلاثة الآتية :

١ – المكانة العلمية والثقافية

٢ – المكانة الاجتماعية للمعلم

٣ – المكانة المالية والانفاق التعليمى

– المكانة العلمية والثقافية :

========== بلغ علماء وأساتذة المدرسة المصرية فى عصر الولاة مكانة علمية وثقافية متميزة فى أرجاء العالم الاسلامى وقد اشتهروا بغزارة علومهم ومعارفهم فقد تميزوا بما يمكن أن نطلق عليه الثقافة الموسوعية حيث أن العالم كان لايعد أستاذا الا اذا برع فى العديد من علوم عصره (١) .

والنماذج على ذلك كثيرة فالليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) امام أهل مصر فى الفقه والحديث قال عنه يحيى بن بكر : " مارأيت أحدا أكمل من الليث ، كان فقيه البلد ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، يحفظ الحديث والشعر ، حسن المذاكرة " (٢) .

لقد كان هؤلاء العلماء حريصين على نقل علومهم ومعارفهم المتنوعة الغزيرة الى طلاب حلقاتهم فالامام الشافعى تنوعت علوم حلقته العلمية فكان يشتغل بالتدريس من الفجر الى

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام (مرجع سابق) ، حـ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ / محمود اسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الاسلامى (مرجع سابق) حـ١ ، ص ١٥٧ : ١٥٩ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان (مصدر سابق) ، حـ٣ ص ٢٨١ / ابن حجر، الرحمة الغيثية (مصدر سابق) ، ص٦ .

صلاة الظهر وكانت دروسه متنوعة فكان بعد صلاة الصبح يجيء أهل القرآن فيقرءون عليه ويسمعون منه ، واذا طلعت الشمس جاء أهل الحديث وفى الضحى جاء قوم المناظرة ، ثم أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى انتصاف النهار (١) .

لقد عرفت صفة التنوع العلمى للعلماء منذ تأسيس المدرسة المصرية ، فقد استوجبت العلوم الدينية المام اساتذتها بالعلوم المختلفة ، فقد كان المفسر ينبغى عليه أن يلم بعلوم اللغة والنحو والصرف وأصول الفقه والقراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ، وكان عالم القراءات لابد له من اجادة الفقه والحديث وكذا علوم اللغة (٢) .

وقد كان العالم الصحابى مؤسس مدرسة التفسير المصرية ابن عباس يدرس لطلابه العديد من العلوم فى حلقاته فكان يجلس يوما لتدريس الفقه وآخر للتأويل وثالث للمغازى ورابع للشعر وأيام العرب (٣) .

وكان العالم فى هذا العصر اذا أدرك فى نفسه الكفاءة والأهلية العلمية ، أجاز لنفسه انشاء حلقة علمية والتدريس فيها ، فلم يكن نظام التعليم وقتئذ يفرض على المعلم أن يحصل على تصريح أو اجازة بالتدريس _ كما ذكر السيوطى " ان من علم فى نفسه الأهلية جاز له ذلك وان لم يجزه أحد أى التدريس " (٤) .

فالعالم المصرى فى القراءات ورش قام بتأسيس حلقته العلمية فى القراءات بعدما شعر بتميزه بين قراء عصره حتى قال عنه تلميذه أبو يعقوب الأزرق " ان ورشا لما تعمق فى النحو وأحكمه اتخذ لنفسه مقرا يسمى " مقر ورش " قلت يعنى مما قرأ به على نافع " (٥) .

---

(١) الشافعى ، الأم (مصدر سابق) ، حـ١ المقدمة / ابن خلكان ، وفيات الأعيان (مصدر سابق) ، حـ٣ ص ٣٠٥ .

(٢) الزركشى ، البرهان فى علوم القرآن (مصدر سابق) ، حـ١ ص ١٣ ، ١٤ / ابن الجزرى ، طبقات القراء(مصدر سابق) حـ١ ص ٥٠٣ .

(٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (مصدر سابق) ، حـ٧ ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

(٤) السيوطى ، الاتقان فىعلوم القرآن (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٣٥٤ .

(٥) ابن الجزرى ، المصدر السابق ، حـ١ ص ٣٠٥ / البرى ، القرآن وعلومه فى مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ٢١٥ .

ومع انتشار العلماء وكثرتهم فى الأمصارالاسلامية بدأ المتميزون منهم يحرصون على الأخذ على كبار علماء عصرهم حتى يجيزوهم وليكونوا ثقة عند تلاميذهم وذلك أن التلميذ كان يطلب مشورة أستاذه فيمن يأخذ عليه العلم وكان الأستاذ يرشح لتلميذه أفضل الأساتذة (١) .

لذلك حرص العالم المصرى الكبير ابن وهب على ملازمة الامام مالك لسنوات طويلة قبل أن يبدأ هو نفسه بالتدريس حتى أجاز له مالك ولقبه بالمفتى ولم يلقب به غيره من العلماء وكان يراسله بلقب مفتى مصر (٢) .

وقد كانت للمعلم الحرية المطلقة فى تحديد المنهج التعليمى الذى يدرسه لطلابه ، وكان عادة ما يختاره من مدوناته الخاصة ، فعالم النحو " محمد بن ولاد (ت ٢٩٨ هـ) " أحد أعمدة النحاة فى مسجد عمرو اختار كتابه " المنمق " ليكون منهجه فى تعليم طلابه المصريين علوم النحو ، كما اختار والده ولاد من قبل كتبه ومؤلفاته النحوية فى التدريس لطلاب حلقاته (٣) .

وقد كان علماء المدرسة المصرية حريصين على مكانتهم العلمية وتميزهم عند طلابهم ، فكان أكثرهم يتخذون من التبادل العلمى والمناظرات مع باقى علماء عصرهم وسيلة لاثراء معارفهم وعلومهم ، فقد كان الامام الشافعى صاحب أكبر الحلقات العلمية بمسجد عمرو بن العاص دائب الحرص على حضور مجالس العالم النحوى " ابن هشام " ومناظرته فى علوم النحو واللغة (٤).

وقد اتسم هؤلاء المعلمون بالدقة العلمية والحرص على اتقان علومه وما يقدمونه لطلابهم وبخاصة علماء الحديث ، فقد عرف عن عالم الحديث المصرى " يزيد بن حبيب " تحذيره وحثه الدائم لطلابه بامعان النظر والتحرى والتدقيق فى صدق رواة الحديث ممن يأخذون عنهم(٥) .

---

(١) السيوطى ، الاتقان فى علوم القرآن (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٣٥٥ حيث قال " وانما اصطلح الناس على الاجازة لأن أهلية الشخص لايعلمها غالبا من يريد الأخذ عنه من المبتدئين ونحوهم " .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان (مصدر سابق) ، حـ٣ ص ٣٦ / الشيرازى ، طبقات الفقهاء (مصدر سابق) ، ص ١٢٧ .

(٣) الزبيدى ، طبقات الزبيدى (طبقات النحويين واللغويين) القاهرة (١٩٥٤ م) ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ الحصرى القيروانى / زهر الآداب وثمر الألباب ، تحقيق على محمد البجاوى ، دار الفكر العربى ، القاهرة (١٩٦ م) ، حـ ص ٢٩١

(٤) القفطى ، انباه الرواة (مصدر سابق) ، ص ٢١١ / السيوطى ، بغية الوعاة (مصدر سابق) حـ٢ ص ١١٥ .

(٥) الذهبى ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، بيروت (١٩٨٢ م) ، حـ١ ص ص ٣١ : ٣٣ .

وكان المعلم كلما ازدادت كفاءته العلمية ، كلما توافد على حلقاته طلاب العلم بكثرة وحرصوا على الأخذ عنه حتى لو ارتحلوا له ، فقد بلغت شهرة حلقات الامام الشافعى فى مسجد عمرو بن العاص أن قال تلميذه الربيع بن سليمان " رأيت على باب دار الامام الشافعى سبعمائة راحلة تطلب سماع كتبه " (١) .

وقد أدت مكانة هؤلاء المعلمين العلمية الى ازدياد المناقشات العلمية فى حلقاتهم لكثرة الطلاب العلماء الوافدين اليهم من أصحاب المذاهب والأفكار المختلفة ، وقد ساهم الامام الشافعى وأتباعه من العلماء المصريين فى خلق ميدان مثمر للمناقشات والمناظرات العلمية فى مصر والذى كان شديد الحرص على مناقشة آرائه مع تلاميذه مما جعل لمذهبه الصدارة الفقهية فى مصر (٢) .

وكان ينبغى على المعلم أن يكون قديرا وكفئا لهذه المناقشات التى تصل أحيانا الى حد التحدى لمنزلته والا فان طلابه كانوا ينفضون عنه ويذهبون لغيره من العلماء (٣) .

- المكانة الاجتماعية:

========== أما عن المستوى الاجتماعى للمعلمين ، فقد كان حسنا بالجملة بين الخاصة والعامة فقد كان هؤلاء المعلمون يعدون من أبرز وأهم الشخصيات التى تحظى بالاجلال والتقدير حيث كانوا أصحاب الرأى والمشورة لدى الخلفاء والأمراء والولاة فالعالم

---

(١) الشعرانى ، الطبقات الكبرى ، (المسماة بلواقح الأنوار فى طبقات الأخبار) ، المطبعة العامرة ، القاهرة (١٣١٥ هـ) حـ١ ص ٤٣ / ابن حجر العسقلانى ، توالى التأسيس بمعالى ابن ادريس ، مكتبة الآداب ، القاهرة (١٩٩٤ م) ، ص ١٦٨ .

(٢) محمد كامل حسين ، أدب مصر الاسلامية فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ٥٢ ، ٥٣ / السيد طه أبو سديرة ، الحرية العلمية (مرجع سابق) ، ص ٦٧ .

(٣) " مثلما حدث حين انصرف العالم القيروانى ابن الفرات عن حلقة استاذه أشهب حين سأله فى بعض آراء المالكية فأجابه بما لم يرضه وانصرف لحلقة ابن القاسم ودون عنه كل آرائه فى كتابه الأسدية لإعجابه به " المالكى ، رياض النفوس " فى طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من اخبارهم وفضائلهم واوصافهم " ، تحقيق حسين مؤنس ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥١ م) ، حـ١ (من الفتح الى آخر سنة ٣٠٠ هـ) ، ص ١٧٣ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .

المصرى الفقيه " عبد الله بن عبد الحكم " صاحب الرأى الأول عند الوالى ابن طـاهر ت ٢١٤ هـ الذى كان يستفتيه فى أمور الحكم وفى تعيين القضاة كذلك (١) .

وقد بلغت شهرة هؤلاء العلماء بين الحكام درجة كبيرة جعلت الـولاة يحرصـون علـى توليتهم لمناصب الولاية الهامة وبخاصة مناصب القضاء والقصص أو الاثنين معا لتـأثيرهم علـى أهل البلاد بالاضافة لوظائفهم فى التدريس ، فالعالم " عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى ت ٧٦ هـ " كان متوليا القصص والقضاء الى جانب التدريس فىحلقته فضلا عن وظيفة الاقراء فى المسجد الجامع (٢) .

وحرص الوالى " عبد العزيز بن مروان " على تولية " ابى الخير مرثد اليزنى " (ت ٩٠ هـ) للقضاء والفتيا بالمسجد الجامع بجانب وظيفته كأستاذ لعلوم القرآن فى حلقته (٣) .

ظهر أيضا علو مكانة العلماء الاجتماعية فى حرص الولاة على الاسترشـاد بـآرائهم فـى أمـور البلاد واصطحابهم باستمرار فى مجالسهم فكان الوالى عبد العزيـز بـن مـروان حريـص علـى وجود القاضى والمفتى أبى الخير اليزنى فى مجالسه للاسترشاد بآرائه وأحكامه الفقهية (٤) .

وقـد بلغـت شـهرة بعـض هـؤلاء العلمـاء أن عرفـت الـدور والأسـواق بأسـمائهم ، كـدار العـالم الصحابى عبد الله بن عمرو بن العاص الذى ابتنى لنفسه دارا فى الفسطاط ظلت تعرف باسـمه بعد وفاته لدفنه بها سنة ٧٧ هـ ، وأيضا دار الصحابى "عقبة بن عامر" ودار" الزبير بن العـوام " وسوق "وردان " التى نسبت الى المحدث وردان مولى عمرو بن العاص لكثرة نزوله اليها(٥).

---

(١) الكندى ، الولاة والقضاة (مصدر سابق) ، ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ .

(٢) الكندى ، المصدر السابق ، ص ٣١٤ / ابن دقماق ، الانتصار (مصدر سابق) ، ص ٧٣ .

(٣) شمس الدين ، دول الاسلام ، ط١ ، حيدر أباد (١٣٣٧ هـ) ، حـ١ ص ٩٣ .

(٤) الشيرازى ، طبقات الفقراء (مصدر سابق) ، ص ٥٦ / الذهبى ، تذكرة الحفاظ (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٦٣.

(٥) ابن سعد ، الطبقات الكبرى (مصدر سابق) ، حـ٧ ص ٤٩٥ ، ٤٩٨ ، ٥١١ / ابن الكندى ، فضائل مصر (مصدر سابق)، ص ٣٧ : ٣٩ / القلقشندى ، صبح الأعشى (مصدر سابق) ، حـ٣ ص ٣٣٣ .

وكانت من أشهر الدور التى نسبت الى صاحبها من العلماء دار " ابن ملجم " التى أمـر الخليفة عمر بن الخطاب واليه عمرو بن العاص أن يقربها من المسجد ليتعلم بها الناس القرآن والفقه وظلت تعرف بين المتعلمين والعامة باسم صاحبها (١) .

كما أن العالم المصرى الليث بلغ درجة كبيرة من الحب لدى المصريين حتى أنهم حزنوا كثيرا لوفاته وخرجوا لرثائه واتخذوا من قبره مزارا لهم (٢) .

ومن ثم يتضح أن علماء عصر الولاة قد بلغوا مـن المنزلـة والمكانـة الاجتماعيـة القدر الكبير عند الحكام وعند طلبتهم بل وعند عامة المصريين لأنهم حملة علوم الدين الاسلامى .

- المكانة المالية والانفاق التعليمى :

========== لقد اختلفت الحالة المالية للمعلمين من عصر لعصـر الا أن السـمة الواضحـة لهـؤلاء المعلمين فـى عصـر الـولاة أنهـم كـانوا يعلمـون طلبـا للثـواب والجزاء الحسن فى الآخرة اذ كانوا يسيرون على نهـج الرسـول – صلـى اللـه عليـه وسـلم – معلمهم الأول فى الاسلام ويقتدون بسنته فى تعليم المسلمين وتفقيههم فـى الديـن وعلومـه دون أجر مادى (٣) .

ان الرغبة فى الثواب هى التى أطلقت الصحابة المعلمين شرقا وغربا راغبين عـن متـاع الدنيـا يلقنون الناس العلم لوجه الله تعالى مترفعين عن تناول الأجر المادى على تعليم القرآن وعلومه والحديث فقد كان التعليم لديهم رسالة لنشر الاسلام وعلومه بالرغم من أن أحدا مـن الفقهـاء لـم يحرم الأجر أو حتى يقول بكراهته فقد ذكر العالم المصرى ابن وهب عن ابن جريج ، قـال : " قلت لعطاء آآخذ أجرا عن تعليم الكتاب ؟ أعلمت أن احدا كرهه ؟ قال : لا " (٤) .

---

(١) ابن دقماق ، الانتصار (مصدر سابق) ، حـ٤ ص ٦ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٢٤٩ / المقريزى ، الخطط (مصدر سابق) ، حـ ٣ ص ٤٨٢ " وقد ذكر أن العالم الحسن النافع تبقى مكانته ومنزلته حتى بعد وفاته فان حياته أبدية " . الزرنوجى ، تعليم المتعلم طريقة التعلم (مصدر سابق) ، ص ١٣ .

(٣) ابن فرحون ، الديباج المذهب (مصدر سابق) ص ١٢ .

(٤) ابن سحنون ، آداب المعلمين (مصدر سابق) ، ص ٨٣ / الغزالى ، احياء علوم الدين ، مكتبة مصر ، القاهرة ، (ب . ت)، حـ١ كتاب العلم ، ص ٥٦ .

فقد كان تطوع المسلمين الأوائل للتعليم دون مقابل بدافع الروح الجديدة للاسلام وابتغاء لوجه الله تعالى ، فلما اتسعت الرقعة الاسلامية وتزايدت أعداد الداخلين فى الاسلام ، أصبح من الصعب بمكان التطوع للتعليم وأدى ذلك الى ظهور صناعة التعليم ، وبدأ المعلمون فى قبول الأجر مع فتاوى الفقهاء بجواز ذاك (١) .

وبالرغم من فتاوى الجواز فقد ظل معظم العلماء والزهاد على رفضهم لقبول الأجر عما يعلمونه من علوم الدين ، فمثلا رفض " الحارث بن محمد " أخذ الرزق الذى رتبه له عمر بن عبد العزيز حين أرسله لتعليم الناس بالبادية وقال " ماكنت لآخذ على علم علمنيه الله أجرا "(٢)

وقد ذكر ابن خلدون مؤيدا ما سبق ذكره " أن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم فى الغالب " ويرجع ذلك لعدم أخذهم أى أجور عن التدريس برغم تجويز الامام مالك لأخذ الأجر عندما قال : " لابأس مما يأخذ المعلم على تعليم القرآن وان اشترط كان حلالا جائزا ... وعلى ذلك أهل العلم ببلدنا فى المعلمين " وقد أكد على ذلك الفقيه المصرى المالكى " ابن وهب " حيث قال عن مالك " لابأس على تعليم الغلمان الكتاب والقرآن . قال فقلت لمالك : أرأيت ان اشترط مع مالك فى ذلك من الأجر شيئا معلوما كل فطر واضحى قال لابأس بذلك " (٣) .

وذكر أيضا الزركشى " والأفضل للمعلم أن يشارط الأجرة للحفظ وتعليم الكتابة ، فان شارط للتعليم ، أرى أن لابأس به " (٤) .

فالجمهور من الفقهاء مما تقدم أجازوا أخذ الأجر بل والمشارطة عليه كمقابل للتدريس للغلمان والطلاب ، ولكن الحال فى مدرسة الفسطاط كان الرفض لأخذ الأجر وخاصة لتدريس علوم الدين ، وكان ذلك راجعا ليسر أحوال بعضهم المالية ، فضلا عن التزام الموسرين منهم

---

(١) ابن سحنون ، آداب المعلمين (مصدر سابق) ، ص ٨٣ / الأهوانى ، التعليم عند القابسى (مرجع سابق) ، ص ٥٧ .

(٢) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز (مصدر سابق) ، ص ١٣٧ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة (مصدر سابق) ، ص ٣٩٢ / ابن سحنون ، المصدر السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ (الهامش).

(٤) الزركشى ، البرهان فى علوم القرآن (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٤٥٨ .

بصلة زملائهم الآخرين بل وأيضا فقراء تلاميذهم ، فقد كان الامام الليث بن سعد المصرى يمتلك الضياع والأملاك التى تدر عليه الكثير رجحها المؤرخون بما يزيد عن الثمانين ألف دينار سنويا كان ينفقها كاملة على العلم وطلاب العلم وقد اعترف الامام مالك بأن الليث كان يصله بالأموال (١)

كذلك أسرة بنو عبد الحكم الشهيرة فى العلم والمعرفة فى الفقه والتاريخ تمتعت كذلك بالنفوذ والثروة ، وقد استقبل عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٠٤ هـ) الامام الشافعى حين وصوله للفسطاط ووصله بألف دينار (٢) .

وكان نتيجة لعدم تدخل الدولة ماليا فى العملية التعليمية فى صدر الاسلام اتاحة الحرية الكاملة للعلماء فى تدريس ما يشاءون وقتما يشاءون وأيضا فى اختيار الطلاب ، كما تركت الحرية كاملة للأغنياء والفقراء للتعليم والتعلم فلم يوجد فى أى من الكتاتيب أو الحلقات الدراسية مكان لأحد الطلبة دون غيره فالجميع سواء عند المعلم والتميز للأكفاء (٣) .

كذلك لم تتدخل الدولة فى فرض أى مناهج على هؤلاء العلماء ، فهم يدرسون مابرعوا فيه وما يرغبون فى تدريسه حيث أنهم لم يتقاضوا أى أجور (٤) .

فلهم الحرية الكاملة فى اختيار ما يعلمون ، ولم تتدخل الدولة الا فى وظيفة القصص التعليمى حيث حرصت على تعيين القصاص ومنحهم أجورا ليقوموا بالنصح والارشاد للمسلمين من خلال القصص القرآنى ، وكان أول قاص أجرى له أجر للقصص فى المسجد الجامع هو " سليمان بن عتر التجيبى " سنة ٣٨ هـ ، وكان قاضيا لمصر أيضا (٥) .

---

(١) ابن الجوزى ، صفة الصفوة (مصدر سابق) حـ٤ ص ٢٨٥ / ابن حجر العسقلانى ، الرحمة العيثية (مصدر سابق) ص ٢٢ .

(٢) ابن فرحون ، الديباج المذهب (مصدر سابق) ص ١٣٤ / الكندى ، الولاة والقضاة (مصدر سابق) ، ص ص ٤٣٦ : ٤٤٠ .

(٣) حسن احمد محمود ، العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٢٠٨ / أحمد شلبى ، التربية والتعليم (مرجع سابق) حـ٥ ص ٢٩٦ .

(٤) الأهوانى ، التربية فى الاسلام ، ، أو التعليم فى رأى القابسى (مرجع سابق) ، ص ٢٠١ .

(٥) ابن دقماق ، الانتصار (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٦٦ ، ٦٧ / حسن محمود ، العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٢٥٨: ٢٦٠ .

أما الانفاق على التعليم فى الحلقات العلمية بالمسجد الجامع ، فكان اما من أموال العلماء الخاصة ، أو ما يمنحه الخلفاء والأمراء والأغنياء للعلماء كصلات ليس لها صفة الانتظام ، فلم تكن أجرا بالنحو المتعارف عليه وذلك بهدف استمرار العملية التعليمية (١) .

وهكذا استمر الأمر على ماهو عليه من حيث فرض أجر للتدريس مقصورا على القصص فقط، وكان الوالى عبد العزيز بن مروان سنة ٦٩ هـ قد أجرى مائتى دينار لعبد الرحمن بن حجيرة لتولى القصص فى مصر واستمر هذا الوضع حتى نهاية عصر الولاة (٢) .

ثانيا : المتعـــــــلم :

========== لقد أجمع المؤرخون والتربويون المسلمون على مجموعة من الخصائص والآداب التى سادت الحياة التعليمية لدى متعلمى عصر الولاة فى سائر أقطار الاسلام ومنها مصر ، أبرزت طبيعة العملية التعليمية فى هذا العصر .

١ - أحوال المتعلمين فى مصر فى عصر الولاة :

- الحرية العلمية للمتعلم :

========== لقد تمتع المتعلم فى عصر الولاة بقدر كبير من الحرية العلمية التى ساعدت على ازدهار النشاط العلمى والثقافى فى مصر الاسلامية ، وقد كانت أول مظاهر تلك الحرية هى حق المتعلم فى اختيار من يتعلم على ايديهم من العلماء ، وله وحده الحق فى اختيار شيخه أو شيوخه الذين يرغب فى التعلم عليهم (٣) .

كما كان الطالب ينتقل بحرية من حلقة علمية الى أخرى للدرس على من يريد من الشيوخ والعلماء ، وقد كان العالم المصرى الليث لديه أربعة مجالس فى المسجد الجامع ، أحدها

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام (مرجع سابق) ، حـ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ / حسن محمود ، العالم الاسلامى (مرجع سابق) ، ص ٢٥٨ : ٢٦٠ .

(٢) الكندى ، الولاة والقضاة (مصدر سابق) ، ص ٣١٧ / ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها (مصدر سابق) ، ص ٢٣٥

(٣) الزرنوجى ، تعليم المتعلم طريقة التعلم (مصدر سابق) ، ص ٦ .

لأصحاب الحديث والثانى للفتوى والثالث للفقه والرابع لشئون الدولة ، وكان طلابه يحضرون ما يبغون منها وقد ينتقلون من مجلس لآخر منها (١) .

والفقيه القيروانى ابن سحنون (ابو سعيد بن سعيد بن حبيب ت ٢٤٠ هـ) حين كان طالبا للعلم فى مصر فى عام ١٨٨ هـ اختار لنفسه علماءه فى الفقه وكان ينتقل من شيخ لآخر ليأخذ عنهم أفضل مالديهم ، فقد أخذ عن كل من " ابن القاسم " و " أشهب " و " ابن وهب" و " عبد الله المرادى " و " عبد الله بن الحكم " وغيرهم من الشيوخ ، وكان دائم الحضور لحلقاتهم من صلاة الصبح حتى العشاء (٢) .

كذلك كان الفقيه القيروانى " ابن الفرات " الذى حضر للدرس والتعلم فى مصر ، عرف عنه انتقاله الدائم من حلقة الى أخرى بين أروقة جامع عمرو ليسمع ويتلقى ويناقش كل شيوخ وعلماء المالكية المصريين ، حتى دون عن ابن القاسم وهو من اختاره شيخا من كل علماء المالكية ، ودون ستين كتابا وأسماها " الأسدية " (٣) .

ومن هذا يتضح تنقل المتعلمين من خلال حريتهم العلمية كان المساعد الأول على انتقاء هؤلاء الطلاب واختارهم لأفضل العلماء وأكثرهم ورعا وأغزرهم علما ومعرفة فيما يبغون دراسته من علوم ، وقد كان الطلاب يحرصون على حضور حلقات المحدث والفقيه المصرى " يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدفى ت ٢٦٤ هـ " والذى انتهت اليه رئاسة العلم وعلوم الاسناد لما اشتهر عنه من سعة العلم وشدة الورع حتى اخذ عنه الحديث كل من مسلم والنسائى وابن ماجة من اصحاب السنن (٤) .

---

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام (مرجع سابق) ، حـ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٩٠ .

(٢) المالكى ، رياض النفوس ، تحقيق حسين مؤنس ، (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٢٤٩ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٧٣ : ١٧٩ .

(٤) السيوطى ، حسن المحاضرة (مصدر سابق) حـ١ ص ٣٠٩ " وقد كان من أشهر تلاميذ الصحابى عبد الله بن عمرو وعابس بن سعيد المرادى الذى جلس ايضا الى عقبة بن عامر الجهنى حتى استفرغ علمهما كما يذكر الكندى . ، الكندى ، الولاة والقضاة (مصدر سابق) ، ص ٣١٣ .

ومما يؤكد حرص طلاب العلم على اختيار اكفأ العلماء ان الفقيه " احمد بن خليل " قال عن اختياره للتتلمذ على يد الشافعى " ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعى"(١)

لم تكن حرية المتعلم فى اختيار شيوخه وعلمائه فقط ، بل كانت له الحرية كذلك فى اختيار العلم او العلوم التى يرغب فى دراستها ، فكان طلاب العلم فى عصر الولاة يتعلمون ما يشاءون وقتما يشاءون ، مثلما كان المعلمون يعلمون ما يرغبون (٢) .

ولقد ساعدت الحرية العلمية لدى المتعلم فى عصر الولاة على شيوع التنوع والشمول المعرفى لديهم ، حتى اتصف هؤلاء المتعلمين بما يمكن تسميته تجاوزا بالثقافة الموسوعية وقد اوضح ذلك صاحب تقييد العلم " بقوله (وهناك الفقيه يجمع بين الحديث والرأى والمحدث كان فقيها) (٣) .

وكان الفقيه الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) يشتهر طول فترة درسه وبحثه بحسن المذاكرة لعلوم اللغة وعلوم القرآن فضلا عن علوم الحديث (٤) .

وظلت الثقافة الموسوعية هى سمة التعلم الاساسية لدى طلاب عصر الولاة ، حيث لم يظهر التخصص الا بظهورعصر الدول المستقلة (٥) .

وظهرت الحرية العلمية للمتعلم كذلك فى اختيار المصر الذى يرتحل اليه للدراسة ، حيث كانت الرحلة العلمية هى السمة الرئيسية للتعلم طوال عصر الولاة وما بعده ، فتخير العديد من علماء

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٤٥٦ / السيد طه ، الحركة العلمية فى جامع عمرو بن العاص (مرجع سابق ، ص ٥٣ .

(٢) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة (مصدر سابق) ، ص ١٩٢ . وقد أوضح مظاهر هذه الحرية الأكاديمية يقوله " وتجد فى كل مدرسة وجامع جمعا من الطلبة يشتغلون بأنواع العلوم من كل فن ، لايعلم بهم ولا يفتش عليهم ، ولا يسأل عنهم ن ولا يعرفهم الا من خالطهم فى اشتغالهم " .

(٣) الخطيب البغدادى ، تقييد العلم (مصدر سابق) ، ص ص ١٨ : ٢٠ .

(٤) الذهبى ، تذكرة الحفاظ (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٨٣٦ ، ٨٣٧ / ابن حجر ، الرحمة الغيثية (مصدر سابق)، ص ٦ .

(٥) صفى ، الحركة العلمية (مرجع سابق) ، ص ٩٥ .

وطلاب القيروان والمغرب والاندلس القدوم الى مصر والاخذ على علمائها ، فلم تخل حلقة علمية فى مسجد عمرو بن العاص من احد او بعض هؤلاء الدارسين مما ساعد على نقل علوم ومذاهب وسمات علماء مصر الثقافية الى تلك الارجاء (١) .

ومكذا فقد استمر المتعلم طوال عصر الولاة ينتقل بحرية من حلقة علمية لأخرى ، أو من مصر لآخر يأخذ العلم عمن يشاء من شيوخه ، ويدون ويحفظ ما يشاء من العلوم والمعارف، مما كان له أكبر الأثر فى ازدهار الحياة العلمية والثقافية فى مصر فى عصر الولاة (٢) .

الطالب المعلم والإجازه العلمية : -

========== كان لحرص علماء عصر الولاه على استمرار العملية التعليمية والدرس والتحصيل فى حلقاتهم العلمية ، أن تخيروا فئه من المساعدين لهم من نجباء طلابهم اجازوا لهم الجلوس للدرس فى حلقاتهم ، فكان العالم اذا استوثق من كفاءة احد طلبتة اجاز لة الجلوس الى باقى طلابه لبعض الوقت ، وذلك مثلما كان من اجازة ،الأمام الشافعى لتلميذه " ابى يعقوب بن يوسف البويطى " (ت ٢٣١ هـ) أن يجلس ليدرس فى حلقته العلمية أثناء غيابه عنها كما سمح لة بتدريس واملاء كتابه الفقهى على طلابه والذى اطلق عليه اسم تلميذه " مختصر البويطى " وقال فى اجازته له " ليس أحد أحق بمجلسى من ابى يعقوب ، وليس أحدا من أصحابى أعلم منه " (٣) .

---

(١) المالكى ، رياض النفوس (مصدر سابق) ، ص ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠٠ / ابن الفرض ، تاريخ علماء الأندلس تصحيح السيد عزت العطارة ، ط٢ ، الخانكى القاهرة (١٩٥٤ م) حـ٢ ص ١٣٧ ، ص ١٢١ .

(٢) محمود اسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الاسلامى (مرجع سابق) ، حـ١ ص ص ١٥٧ : ١٥٩ / أحمد أمين ، ضحى الاسلام، (مرجع سابق) ، حـ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٩٠ .

(٣) ابن هداية ، طبقات الشافعية (مصدر سابق) ، ص ٤ / ابن تغرى يردى ، النجوم الزاهرة (مصدر سابق) ، حـ٢ ص ٢٦٠، ٢٦١ .

وقد قام "البويطى " فيما بعد بأستخلاف أحد طلابه المتميزين للتدريس فى حلقته بالمسجد الجامع حين أخذ وسجن فى محنة خلق القرآن ، حتى لايتوقف الدرس والتحصيل فيها، ففوض امرها لتلميذه " الربيع الجيزى "واوصاه بطلابها وبما يعلمه لهم [١] .

وكذلك كان " عبد الله بن عبد الحكم " ت (٢١٤هـ) من نجباء طلاب العالم المصرى "أشهب " والذى اتخذة مساعدا ومعيدا لعلومه على طلاب حلقته والتى أوصى بها اليه من بعده ، كما سمح له باقى أساتذته "ابن وهب " و"ابن القاسم " باختصار ارائهم الفقهيه والعلمية فى كتب خاصة ليدرسها لطلاب حلقاتهم اسماها " المختصر الكبير "و" المختصر الاوسط " و" المختصر الصغير(٢).

وقد قام هؤلاء الطلاب المساعدون بدور كبير فى حفظ علوم شيوخهم من خلال مدوناتهم العلمية ، حتى غدوا من كبار العلماء كأساتذتهم .

٢ – آداب المتعلمين فى مصر فى عصر الولاة : –

==========

بصفة عامة اتسم المتعلمون فى عصر الولاة بصفات سامية تناسبت مع عقيدتهم فى ان طلب العلم عبادة لانه فريضة اسلامية ككل الفرائض الاسلامية يجب ممارستها باخلاص فكانت لوجه الله تعالى ولذات العلم مجردة بدون اغراض دنيوية فهم يتناولون نصيبهم من ميراث الانبياء وقد ذكر الزرنوخى " وكفى بلذة العلم والفقه والفهم داعيا وباعثا للعاقل على تحصيل العلم " فقد كان الليث بن سعد تلميذ العالم يزيد بن حبيب حين قد سطع نجمه العلمى طلبه الخليفة العباسى ابو جعفر المنصور لتولى امارة مصر فاعتذر عنها حتى لاتشغله عن التعلم والتعليم(٣)

---

(١) ابن الجوزى ، صفة الصفوة (مصدر سابق) ، ص ٤١٩ ، ٤٢٠ / الشيرازى ، طبقات الفقهاء (مصدر سابق) ، ص ٨٠ .

(٢) ابن فرحون ، الديباج المذهب (مصدر سابق) ، ص ٤١٩ ، ٤٢٠ / ابن خلكان ، وفيات الأعيان (مصدر سابق) ، حـ٣ ، ص ٣٤ ، ٣٥ / ابن النديم ، الفهرست (مصدر سابق) ، ص ١٩٩ .

(٣) الغزالى ، احياء علوم الدين (مصدر سابق) ، حـ١ ، ص ٤٩ / الزرنوجى ، تعليم المتعلم ، (مصدر سابق) ، ص ١٤ / ابن الكندى ، فضائل مصر (مصدر سابق) ، ص ٤٠ .

كذلك كان على طالب العلم ان يتلقى العلم الواحد عن عدد من العلماء او يتلقى عدداً من العلوم على معلم واحد وان يشغل كل وقته فى تلقى العلم وفى ذلك كان الزرنوخى يقدم النصح للطلاب بقوله " لطالب العلم ان يكون متاملا فى جميع الاوقات فى دقائق العلوم ... ويكون مستفيدا فى جميع الاحوال والاوقات من جميع الاشخاص .... وينبغى لطالب العلم ان يستغرق جميع اوقاته فاذا مل من علم يشتغل بعلم آخر " ، فالفقيه المحدث " بقى بن مخلد القرطبى ت ٢٥٧ هـ " حينما كان يدرس بمصر حرص على لقاء معظم شيوخ المسجد الجامع والاخذ عن محدثى وفقهاء مصر البارزين كابناء عبد الحكم ، والحارث بن مسكين ، ويونس بن الاعلى ، كما لازم محمد بن عبد الحكم فى حضور مجالس المناظرات والمزنى للتفقه حتى استفرغ علوم من أخذ عنهم وشهدوا له بالتفوق ، وايضا ذكر ابن سحنون انه اثناء درسه بمصر كان يحضر حلقات المسجد الجامع منذ صلاة العشاء ، وعندما حج مع أساتذته عبد الله بن وهب ، وأشهب ، وابن القاسم كان يناظرهم ويسألهم عن الكتب التى قرأها عليهم طوال رحلة الحج وقد ذكر المالكى ذلك بقوله : " ... لما عاد سحنون الى القيروان كان العلم فى صدره محفوظا كسورة من القرآن " (١) .

وقد كان على طالب العلم أن يحرص على تعلم أكثر من علم وان يبدأ بأهمها ويتدرج فى دراستها حتى يحصلها جميعا وهذا رأى الامام الغزالى حيث قال : " ... ان لايدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه الا وينظر فيه نظرا يطلع به على غايته ... وأن لايخوض فى فن من فنون العلم دفعة بل يراعى الترتيب ويبتدىء بالأهم ... لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا " ، فكان متعلموا عصر الولاة فى مصر يتسمون بالجمع بين عدد من العلوم من فقه وحديث وعلوم اللسان والشعر وهذا ما كانت تضمه حلقات الامام الشافعى

---

(١) الزرنوجى ، تعليم المتعلم (مصدر سابق) ، ص ١٧ ، ٢١ / ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس (مصدر سابق) حـ٢ ص ٣٩٨ / المالكى ، رياض النفوس (مصدر سابق) ص ٢٥٤ .

من سائر طلاب العلم والمعرفة بجميع أنواعها وقتئذ ، كذلك قام عبد الله بن وهب تلميذ العالم الليث بن سعد بدراسة الحديث والفقه والرواية حتى نبغ فيهم وصنف فيهم جميعا (١) .

وكان أولوية اختيار الطالب للعلوم التى يتعلمها تأتى تبعا لقيمتها فقد رأى أهل الحديث أن لعلم الحديث الأهمية الأولى التى تساعد على تفسير وفهم نصوص القرآن من أجل استنباط الأحكام الشرعية واستخلاص العبر وهذا الذى ميز مدرسة الحديث فى مصر وجعلها قبلة أصحاب كتب السنن اليها للأخذ عن محدثيها (٢) .

لقد كان الدرس المستمر – حتى الموت – والجد فى التحصيل والاجادة هو السمة الغالبة على معظم هؤلاء الطلبة والتفرغ التام له لا يشغلهم شيئا عن تحصيله وكانت نصيحة المعلمين الى طلابهم الدائمة هى بعدم التهاون فى تلقى وطلب العلم وعدم السأم فى الدرس والتحصيل (٣) .

لقد كان على طالب العلم أن يتصف بالزهد الا فى تحصيل العلم والجلد وتحمل المشاق فى طلب العلم وتحصيله ويثبت ويصبر على أستاذه وكتابه وعلمه حتى يتقن ما أخذه عنه من علم وأن يواظب على ذلك ، فقد كان عبد الله بن لهيعة المكنى بأبى خريطة الذى اشتهر بتعليقه خريطة فى عنقه يدون فيها عن كل العلماء من فقه وحديث ويرويها بعد ذلك لطلابه ومريديه حتى وفاته ١٧٤هـ (٤) .

ايضا كان أبناء مدرسة الحديث المصرية كثيرى الترحال ، يصبرون على التغرب عن وطنهم بالشهور والأعوام للتأكد من صحة حديث واحد فكان عثمان بن عتيق مولى غافق أول من رحل من أهل مصر للعراق فى سبيل طلب الأحاديث والتثبت من صحتها (٥) .

---

(١) الغزالى ، احياء علوم الدين (مصدر سابق) حـ١ ص ٥١ : ٥٣ / السيوطى ، حسن المحاضرة (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٣٠٤ / ابن الكندى ، فضائل مصر (مصدر سابق) ، ص ٤٠ .

(٢) السيد طه ، الحركة العلمية (مرجع سابق) ، ص ٤٩ ، ٥٤ / هل ، الحضارة العربية (مرجع سابق) ، ص ٧٠

(٣) الزرنوجى ، تعليم المتعلم (مصدر سابق) ، ص ٢٥ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥ : ١٢ / الغزالى ، احياء علوم الدين (مصدر سابق) ، حـ ١ ص ٥٠ / أبن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (مصدر سابق) ، ص ١٥٥ / الكندى ، الولاة والقضاة (مصدر سابق) ، ٣٧٠ .

(٥) المقريزى ، الخطط (مصدر سابق) ، حـ٣ ص ٢٦٠ / السيد طه ، الحركة العلمية (مرجع سابق) ، ص ٥٢ .

لقد كان على الطلاب التواضع لشيوخهم المتسمين دائما بالورع والعلم والزهد حيث كان الطالب دائم الحرص على الأخذ عن العالم الورع القدير فقد كان الامام البخارى حين وفد الى مصر لم يأخذ الا عن يوسف بن عدى التميمى وحسان بن عبد الله بن مسهل الكندى المعروفين بالورع والثقة (١) .

وكان ينبغى على الطالب أن يكون حريصا على سؤال الأساتذة والاستفسار منهم والتشاور معهم ولابأس من مناظرتهم فى لطف فقد كان ابن الفرات دائم التنقل بين حلقات العلماء فى جامع عمرو يحاورهم ويناظرهم ويشاورهم ويسألهم (٢) .

لقد كان الحرص على التدوين للعلم من جانب المتعلمين فى عصر الولاة هو السمة التى حفظت لناالعلم من الضياع فلم يكونوا يعتمدون على الحفظ والاستظهار للاحتفاظ بما درسوه فقد اشتهر بعض طلاب العلم المصريين فى عصر الولاة ولاسيما فى القرنين الثانى والثالث الهجريين بتدوين العلم على أساتذتهم ولاسيما الطلاب الوافدين بمدوناتهم فقد دون ابن الفرات " الأسدية " ودون ابن سحنون كتابه " المدونة " عن شيوخ مصر وعلمائها (٣) .

وهكذا فان الصفات والآداب الحميدة التى اتصف بها طلاب العلم فى تلك الفترة من طلب العلم لوجه الله ورجاء ثوابه ، والحرص على اختيار كل من العلوم التى ينبغى على الطالب أن يدرسها ، والمعلمين الذين يرغبون فى التعلم منهم ، وأن يكون حالهم دائما الدأب المستمر على الدرس والتحصيل ، والتفرغ التام لطلبه متحملا فى ذلك كافة المشاق التى تقابله من رحلة أو من شظف العيش ، وأن يحترم الطالب أساتذته، كل تلك الصفات كانت سببا فى تخريج الأساتذة التى اشتهرت بهم المدرسة المصرية العلمية فى المسجد الجامع والتى غدت قبلة أساتذة وطلاب العلوم المختلفة من أقطار العالم الاسلامى .

---

(١) الزرنوجى ، تعليم المتعلم (مصدر سابق) ، ص ١٦ / المالكى ، رياض النفوس (مصدر سابق) ، ص ١٧٣ ، ١٧٨ .

(٢) الزرنوجى ، المصدر السابق ، ص ١٦ / المالكى ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ ، ١٧٨ .

(٣) المالكى ، المصدر السابق ، ص ١٨١ / ابن خلدون ، المقدمة (مصدر سابق) ، ص ٣٩٦ .

ثالثا : طرق الدرس والتحصيل فى مصر فى عصر الولاة :

==========

يمكن أن نلخص وبشكل واضح أن الطرق التى كان يتم يها الاتصال المتبادل بين المعلم والمتعلم بغرض العلم فى عصر الولاة – بالرغم من تداخلها – كانت ثلاث طرق رئيسية وهى :

١ – الرحلة العلمية ٢ – التلقين والاستماع ٣ – التدوين والاملاء

وفيما يلى القاء بعض الضوء على كل طريقة :

١ – الرحلة العلمية :

========== لما كان الصحابة هم المعلمون الأوائل ومؤسسو مدرسة الفسطاط الدينية والعلمية الذين نقلوا علومهم الى تلاميذهم من التابعين اولئك الذين نقلوا علوم الصحابة الى تلاميذهم من تابعى التابعين وكان هذا حال المدرسة المصرية التى ازدهرت على يد علمائها المصريين الذين كانوا أنفسهم نواة المدارس العلمية فى بلدان المغرب والأندلس والتى أسهمت فى ذلك الرحلة العلمية سواء من مصر الى البلاد الشرقية طلبا للعلم من جانب أبنائها أمثال الليث بن سعد والمحدث يزيد بن حبيب والقارىء ورش وغيرهم ثم الرحلة اليها لتلقى العلم على يد هؤلاء العلماء (١) .

ومع توالى الفتوح العربية واتساع رقعة الدولة الاسلامية ، زاد عدد الأمم الداخلة فى الاسلام ، وتفرق العلماء الأوائل من الصحابة فى كافة الأمصار الاسلامية ، فغدا بذلك كل أقليم متأثرا بعلمائه وفى نفس الوقت فى احتياج الى علوم ومعارف باقى العلماء ممن انتشروا فى سائر البقاع الاسلامية المفتوحة ، لذا فقد كانت الرحلة العلمية هى الوسيلة المناسبة فى ذلك الوقت لتلاقى هؤلاء العلماء للتبادل العلمى والمعرفى للعلوم الاسلامية (٢) .

---

(١) ابن الكندى ، فضائل مصر (مصدر سابق) ، ص ٢١ ، ٣٧ ، ٣٨ / سعيد اسماعيل ، نظرات فى الفكر التربوى (مرجع سابق) ، ص ٢٢٢ .

(٢) الغزالى ، احياء علوم الدين (مصدر سابق) ، حـ١ ص ٧ / ابن عبد البر ، جامع بيان العلم مصدر سابق) ، حـ١ ص ١٠، ص ٩٥ .

هذا الذى دعا للرحيل من مصر الى الأمصار المختلفة بالنسبة للدارسين الذين شعروا بالحاجة الى مزيد من العلم ، وكان العالم الاسلامى قد شهد مولد مدارس إسلامية كثيرة فى جميع الأمصار المفتوحة تختلف فى ميدان الثقافة ، فبدأ المصريون أساتذة وطلابا يرحلون شرقا الى المدينة المنورة أو الى دمشق أو الى العراق طلبا للمزيد ، ثم يعودون الى البلاد مرة أخرى لمتابعة حياة الدرس والفقه والتعليم (١) .

وبالمقابل وفد كثيرون من أهل المدارس الأخرى الى مصر لمبادلة أساتذة مصر وطلابها تجاربهم الثقافية وخبراتهم الدينية وخاصة أهل افريقيا والمغرب والأندلس ممن كان لعلماء مصر الفضل فى تأسيس المدارس العلمية والدينية فى تلك البلاد لدرجة أن مذهب الامام مالك قد انتقل وانتشر فى تلك البلاد على ايدى من تعلم بمصر من ابنائها كأسد بن الفرات وسحنون بن سعيد والفقيه القرطبى بقى بن مخلد (ت ٢٥٧ هـ) الذى عاصر آخر عصر الولاة والذى رحل الى مصر للسماع عن شيوخها والتلقى عنهم ثم عاد هؤلاء الى بلادهم علماء وفقهاء (٢).

لقد كان الحرص الدائم على الرحلة العلمية لاعتقاد طلاب العلم بأن علمهم لايكتمل الا بلقاء أكبر عدد مستطاع من المشايخ الراسخين فى العلم ليتقووا فى علمهم (٣) .

وهكذا ظلت الرحلة العلمية هى الوسيلة الرئيسية للتبادل العلمى والثقافى خلال عصر الولاة وبعده، وحتى بعد التوسع فى حركة التدوين والكتابة .

٢ – التلقين والاستماع :

========== كانت هى الطريقة الأساسية الرئيسية للتعليم فى صدر الاسلام وعصر الولاة ولعل ذلك مرجعه الى ما اعتاده الصحابة فى الأخذ والتلقى من الرسول (صلى

---

(١) حسن محمود ، الاسلام والثقافة العربية (مرجع سابق) ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٢) حسن محمود ، المرجع السابق ، ١٠٩ / سيدة كاشف ، مصر فى فجر الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ / ابن الفرض ، تاريخ علماء الأندلس (مصدر سابق) ، حـ١ ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، (مصدر سابق) ، ص ٤٩٣ حيث قال " على قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها " .

الله عليه وسلم) للقرآن شفاهة ويعملون على حفظه ، فقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يحفظه ويتلوه على المسلمين وساروا على سنته يتحفظونه ويتلونه آناء الليل وأطراف النهار مرتلين له ترتيلا ، وكان حفظة القرآن يسمون بالقراء ، ولم يكن القرآن فقط هو ما يؤخذ شفاهة عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وانما الحديث أيضا فقد كان منهم من يلازمه يسمع منه ويحفظ عنه ويسأله ويتعلم منه فأبو هريرة كان يلزم الرسول (صلى الله عليه وسلم) وغيره من الصحابة الذين صاروا العلماء بعده (صلى الله عليه وسلم) والذين انتشروا فى سائر البلاد المفتوحة ينشرون الدين واللغة ويؤسسون المدارس وقد حظيت مصر بالصحابى عبد الله بن عمرو بن العاص الذى أسس مدرستها والذى كان أكثر الصحابة رواية للحديث(١). وترجع ندرة التدوين الى جهل الكثير من الصحابة بالقراءة والكتابة فهم كانوا يومئذ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين وقد جرى الأمر على ذلك زمن الصحابة التابعين (٢) .

ومن العوامل التى أخرت التدوين فى صدر الاسلام كره بعض الصحابة أن يتخذوا مع القرآن كتابا آخر يضاهيه لذلك خشوا أن يقدموا على التدوين حتى للحديث النبوى ، فلما توفى الرسول (صلى الله عليه وسلم) انتشر الصحابة حملة العلم فى الأمصار المفتوحة وأخذوا يبلغون ما سمعوه ورأوه ، وقد أصبح الاعتماد على الحفظ والذاكرة من أهم وسائل التحصيل فى تلك الفترة حتى أن حلقات الحديث فى جامع عمرو كانت تغص بطلاب العلم وشيوخ الحديث يحفظون ويتحرون صحة الاسناد ، ومن هنا كان التلقين بالمباشرة أى بلقاء الشيوخ الكبار والجلوس بين يدى العلماء وأخذ العلم عنهم لتقوية ملكة الحفظ لدى المتعلم (٣) .

---

(١) الخطيب البغدادى ، تقييد العلم (مصدر سابق) ، ص ٢٩ ، ٤٣ / شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى - العصر العباسى (مرجع سابق) ، ص ٢٥ : ٢٧ / محمد كامل حسين ، أدب مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ٣٨ .

(٢) ابن خلدون ، المقدمة (مصدر سابق) ، الفصل ٣٥ ، ص ٥٣٤ .

(٣) ابن عبد البر ، مختصر جامع بيان العلم وفضله (مصدر سابق) ، ص ٣٤ ، ٣٥ / ابن رستة ، الاعلاق النفيسة (مصدر سابق) ، ص ١١٦ / ابن خلدون ، المقدمة (مصدر سابق) ، ص ٥٤١ .

وقد كان تلقين العلم يتم بالتلقى عن أفواه المشايخ بأن ينتقل الطالب من شيخ الى آخر للاستماع، ومن مجلس الى مجلس ، وقد استمرت هذه الطريقة فى التعليم هى المعمولة بها والمعتمد عليها الى أن استدعت الحاجة الى القيام بالتدوين ، قبدأ انتشار التدوين للعلم فى العالم الاسلامى (١) .

٣ - التدوين والامـــلاء :

========== لقد كان تدوين العلم فى صدر الاسلام مكروها بين الصحابة وقد سبقت الاشارة الى اسباب تركهم له ، الا أنه مع مرور الزمن وتباعد الصحابة فى الأقاليم لاشتراكهم فى الفتوحات واستشهاد وموت الكثير منهم فأصبحت الحاجة واضحة لتدوين تلك المعارف والعلوم والحفاظ عليها وخاصة بعد ظهور الروايات الكاذبة للحديث الشريف (٢) .

وحقيقة الأمر فان التدوين قد بدأ فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) والأخذ عنه حيث دعا (صلى الله عليه وسلم) الى تدوين القرآن الكريم عنه فقط ونهى عما دون ذلك حتى الحديث النبوى نفسه كل ذلك حتى لايختلط شيئا بالقرآن هذا وقد شجع (صلى الله عليه وسلم) الصحابة على تعلم القراءة والكتابة (٣) .

وكان أول تدوين كامل للقرآن الكريم فى عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) وان كان جمعه قد تم فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق (رضى الله عنه ، وكان الذى دعا الخليفة عثمان (رضى الله عنه) لذلك طهور بعض الخلافات فى القراءة للقرآن فأمر زيد بن ثابت

---

(١) محمود اسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الاسلامى (مرجع سابق) ، حـ١ ص ١٥٨ ، ١٥٩ / أحمد أمين ، ضحى الاسلام (مرجع سابق) ، حـ٢ ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٢) ابن قتيبة ، المعارف (مصدر سابق) ، ص ١١٦ / ابن الجوزى ، تلبيس ابليس (مصدر سابق) قال " كان الفقهاء فى قديم الزمان من أهل القرآن والحديث فما زال الأمر يتناقص حتى قال المتأخرون يكفينا أن نعرف آيات الأحكام من القرآن ، وصار أحدهم يحتج بآية لايعرف معناها وبحديث لايدرى أصحيح هو أم لا ... ولقد كانت معرفة هذا تصعب ويحتاج الانسان الى السفر الطويل والتعب الكثير حتى يعرف ذلك فصنفت الكتب وتقررت السنن ، وعرف الصحيح من السقيم " ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) الخطيب البغدادى ، تقييد العلم (مصدر سابق) ، ص ٢٩ .

فاستنسخ عدة نسخ من القرآن وأمر بتوزيعها على الأمصار الاسلامية ومنها مصر ، وقد أمر بحق ما سواه من نسخ أو صحائف له [١] .

أيضا دون بعض الصحابة أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فقد استأذن عبد الله بن عمرو – لمعرفته الكتابة – النبى (صلى الله عليه وسلم) فى الكتابة عنه فى الرضا والغضب، فأذن له الرسول (صلى الله عليه وسلم) ذلك وفعلا قام بتدوين الكثير من الأحاديث فى مدونة لعبد الله بن عمرو **أسماها " الصادقة " والتى بسببها اعترف ابو هريرة لعبد الله** بالحفظ للحديث أكثر منه لأنه كان يدون ويكتب وأبو هريرة لايكتب ، تلك المدونة التى اصطحبها معه الى مصر(٢) .

لقد كان عصر الدولة الأموية بحق هو عصر التدوين لجميع المعارف من أنساب وأشعار وعلوم دينية من تفسير وفقه ونشريع وجديث والتاريخ والقصص والأمثال وفى الطب وفى الفلك وفى الكيمياء، فقد شاع التدوين فى جميع الأمصار ، وكان للمدرسة المصرية دور كبير فى هذه الحركة اشترك فيها علماؤها وشاعت مؤلفاتهم العلمية فى العالم الاسلامى ، فهاهو الليث بن سعد يدون صحيفة فى التفسير قال عنها ابن حنبل فى مسنده " بمصر صحيفة فى التفسير لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيرا " وبرع المصريون فى علوم الحديث حتى رحل اليهم أصحاب مجاميع الحديث كالبخارى ومسلم والنسائى ، ونقلوا عن المصريين كخالد بن حميد الأسكندرانى (ت ١٦٩ هـ) وخلاد بن سليمان الحضرمى (ت ١٧٨ هـ) ، وعبد الله بن وهب الذى يعد من أوائل جامعى الحديث دون كتابه " الجامع فى الحديث " الذى يرجع تاريخه الى القرن الثالث الهجرى ، كما ألف الشافعى ودون الكثير من كتبه فى مصر أثناء اقامته بها التى بلغت أربع سنوات (٣) .

---

(١) البخارى ، صحيح البخارى (مصدر سابق) ، كتاب العلم ، حـ١ ص ٢٥ / ابن الراهب ، تاريخ ، نشر الأب لويس ، بيروت ١٩٠٣ ، ص٥٣ .

(٢) ابن الثير ، أسد الغابة (مصدر سابق) ، حـ٣ ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ / شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى (مرجع سابق) ، ص ٣٧ .

(٣) شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى (مرجع سابق) ، حـ٢ ص ٧ / محمد كامل حسين ، الحياة الفكرية والأدبية بمصر (مرجع سابق) ، ٢٩ : ٣٧ / ابن حجر العسقلانى ، توالى التأسيس بمعالى ابن ادريس (مصدر سابق) ، ص ١٥٧ .

وكانت المؤلفات فى البداية ذات لغة عربية بسيطة وان دخلها شيىء من الصعوبة فى بعض الأحيان الى أن صارت – فيما بعد – لغة تأليف علمية صحيحة ، وقد كان الاهتمام من جانب الكتاب بتعليم لغة المخاطبة وتعلم غير العربية وذلك من أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) حينما أمر زيد بن ثابت أن يتعلم اللغة السريانية والعبرانية ، فتعلمها (١) .

لقد شجعت القراطيس وأوراق البردى المصرية على نمو حركة التدوين وانتشار نطاقها ومداها بين العلماء وكانت مشهورة بين العلماء ومفضلة عندهم (٢) .

لقد أدت تلك المدونات لانتشار أرقى طريقة من طرق التعليم والتحصيل والدراسة فى الاسلام وهى طريقة الاملاء التى اعتبرت بحق أعلى مراتب التعليم ، فقد أملى العديد من العلماء بالمسجد الجامع بمصر ، فأملى الشافعى على تلاميذه المصريين كالبويطى والمزنى والربيع والمرادى ، وكان من أهم نتاج ذلك الاملاء والتدوين هو كتابه " الأم " ومن مدونات تلاميذه " مختصر المزنى " و " مختصر البويطى " وقد ذكر الشافعى ذلك بقوله " فأمليت عليهم الموطأ حفظا " ، وكان تلاميذه يقرأون عليه ما يكتب ثم ينسخونه للاحتفاظ به (٣) .

لقد كانت تلك المحاضرات التى يمليها العلماء على تلاميذهم تسمى " الأمالى " ، مثل " أمالى القالى " و " أمالى المرتضى " (٤) .

ومما ساعد أيضا على انتشار التدوين والكتابة والنسخ حركة الترجمة لجميع كتب الحضارات السابقة على العرب . الهندية ، والفارسية ، واليونانية ، والقبطية المصرية ، تلك التى تحتوى

---

(١) محمد كامل حسين ، أدب مصر الاسلامية – عصر الولاة (مرجع سابق) ، ٤٨ / أبو هلال العسكرى ، كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيرت (١٩٨١ م) ، ص ١٧١ : ١٧٤ .

(٢) الثعالبى ، لطائف المعارف (مصدر سابق) ، ص ١٦١ .

(٣) الشافعى ، الأم (مصدر سابق) ، حـ١ المقدمة / ابن حجر العسقلانى ، توالى التأسيس (مصدر سابق) ص ١٥٧.

(٤) حسن أحمد ، العالم الاسلامى (مصدر سابق) ، ٢٥٨ / صفى ، الحركة العلمية (مرجع سابق) ، ص ٩٣ .

على جميع العلوم من هندسة وطب وفلك وفلسفة .. الخ تلك التى طالما شجعها الخلفاء والأمراء وذوو الجاه فى الدولة الاسلامية كى يطلع العرب على تلك المعارف ويفيدون منها[١].

لقد اسهم هؤلاء المعلمون والمتعلمون فى إثراء الحياة العلمية فى مدرسة الفسطاط المصرية فى العلوم المختلفة ، وهو ما سيتضح من عرض محتوى التعليم فى مصر الاسلامية.

---

(١) البيهقى ، تاريخ حكماء الاسلام (مصدر سابق) ، ص ١٦ : ١٩ / ادوارد جى براون ، الطب العربى (مرجع سابق) ، ص ٢٢ .